

أدب الرحلات عند الهاشمي

رحلته من دمشق إلى بغداد
دراسة وتحقيق

د. جاسم خلف صالح

ملخص البحث

يعد هذا البحث مساهمة في أدب الرحلات، الذي يعتمد على السرد القصصي، والحديث عن الشعوب، وعاداتها وتقاليدها، ووصف كل ما وقعت عليه أعين الرحالة من أمكنة وبقاع، وتسجيل مشاهداتهم بأمانة وصدق، ونتج عن هذه الكتابات ما يسمى بأدب الرحلات وقد شارك الأديب العراقي **محمد الهاشمي** في هذا الضرب من الأدب من خلال تسجيل مشاهداته أثناء رحلته التي بدأت في 5 فبراير 1921 من دمشق، وحط عصا الترحال في 13 مارس من العام نفسه في مدينة هيت، ومنها إلى بغداد.

القسم الأول: الدراسة التي تضمنت نبذة تعريفية بصاحب الرحلة،
ومبشرين :

المبحث الأول: الرحلة لغة، بواعث الرحلة في التراث
العربي الإسلامي، وأدب الرحلات: مفهومه، أهميته، أبرز رواده

المبحث الثاني: رحلة الهاشمي من دمشق إلى بغداد، وتضمن
هذا المبحث: الأمكنة والبقاع والأحوال الجوية، والآثار، ومياه
البادية، ومجتمعها، وبعض خصائص هذه الرحلة

القسم الثاني: تحقيق النص) من دمشق إلى بغداد(هذه الرحلة التي انطلقت من دمشق في 5 فبراير 1921، وحطت في 13 مارس من العام نفسه في مدينة هيت، ومنها إلى بغداد.

وشرحنا في هذا القسم الألفاظ والتراكيب الغامضة، وعرفنا بالمواقع والأعلام التي لها ذكر في مصادر التراث.

الخاتمة: تضمنت أبرز نتائج البحث.

رحلة الهاشمي

دراسة وتحقيق

: نبذة تعريفية بالهاشمي

هو **محمد بن يحيى الهاشمي** ولد سنة 1898م في محلة الشيخ
صندل في كرخ بغداد.

ينتسب إلى عائلة عربية عريقة النسب، لها تاريخها المجيد،
وشرفها العتيد هي العائلة الهاشمية

درس **الهاشمي** كغيره من أبناء جيله في الجوامع والمساجد، التي كانت تمثل المدارس في تلك الحقبة من الزمن

وقد تفوق على أقرانه لأنه لم يكتف بما درسه من علوم فيها وإنما قصد الأزهر الشريف والجامعة المصرية، ودرس في مدرسة الحقوق البغدادية.

وقد توزعت آثاره بين الشعر والنثر والترجمة والتحقيق والصحافة،
فمن شعره: ديوان عبارات الغريب والنعث والمثاني والمسرحية
الشعرية : سميراميس بين الحقيقة والأسطورة، وديوانه الكبير الذي
حققه وقدم له الدكتور عبدا لله الجبوري

ومن مؤلفاته في القضاء كتابه :القضاء بين يديك، وكتب كثيرا من
المقالات والبحوث في مجلة المقتطف

الهاشمي في الميزان

قال عنه الأديب **روفائيل بطي**: (هو أنبع فتیان العراق في المنظوم يتطلع له العارفون إلى مستقبل مجيد في عالم الشعر، عشق الشعر ونبغ فيه يافعا فسبق كثيرين من الشباب). والكهول ممن يتعاطون هذه الصناعة

وجاء في **تقرير المجمع العلمي العراقي الخاص بديوان الهاشمي** (المثاني) والذي كتبه الأستاذان: مصطفى جواد ومحمد بهجت الأثري ما نصه: ((وقد تناول الحياة الاجتماعية والحياة العقلية والسياسية من أطرافها، وتغلغل في الطبائع والأخلاق والغرائز، فوصف ونقد وسخر وافتن في ذلك ما شاء وتهياً له في هذا الباب ما لم يتهياً)). لشاعر من قبل غير أبي العلاء المعري

- وجاء فيه أيضا: ((هذا الديوان في جملته من مفاخر الشعر العربي العراقي وصاحبه خليق بأن يقدر مجهوده ويعان على طبعه طبعاً راقياً ليطابق مظهره ((مخبره

- وقال **عبد الرحمن التكريتي** ((الهاشمي على جانب كبير من العلم في اللغة والأدب والتاريخ العربي مع شدة تمسكه بالدين الحنيف، وكان مشهوراً بنزاهته في إصدار الأحكام التي لا يرقى إليها شك أو شبهة فلم ينقض له قرار... وهو مشهور ((بالأخلاق الفاضلة والمزايا الحميدة

- أما الدكتور **محسن جمال الدين** فقال: ((من معجزات العصر أن يظهر النابغة في عصر مختلف فكرياً وأدبياً واجتماعياً، فيسبق عصره وأبناء مجتمعه بالآراء

وقال الأستاذ **عبد القادر البراك**

وهو وان توخى تقليد الشاعر الكبير معروف ((
الرصافي- في شعره التراجمي -إلا أنه فاقه في
((رقة الأسلوب وجمال العرض وسهولة الأداء

المبحث الأول

أدب الرحلات

:المطلب الأول

: الرحلة لغة

جاء في لسان العرب **لابن منظور** (مادة رحل): الرَّحْلُ مَرْكَبٌ لِلْبَعِيرِ وَالنَّاقَةِ وَجَمْعُهُ...أَرْحُلٌ وَرِحَالٌ

قال **الأزهري** : فقد صح أن الرَّحْلَ والرحالة من مراكب الرجال دون النساء والرَّحْلُ في غير هذا منزل الرجل ومسكنه وبيته

وقوم رحل أي يرتحلون كثيرا، وَرَجُلٌ رَحَّالٌ عالم بذلك مجيد له، وابل مُرَحَّلة عليها رحالها، وهي أيضا التي وُضِعَتْ عنها رحالها. ارْتَحَلَ القوم عن المكان ارتحالا،... وَرَحْلٌ عن المكان يَرْحَلُ وهو راحل من قوم رُحْلٌ انتقل

والتَّرحُّلُ والارتحال الانتقال وهو الرحلة والرُّحْلة، والرحْلة اسم للارتحال للمسير يقال

دَبَّرْتُ رَحْلِي فارتحلت فلان ارتحل ارتحالا

المطلب الثاني:

بواعث الرحلة في التراث العربي
والإسلامي

الرحلة بمعنى التحول أو الانتقال من مكان إلى آخر لسبب من الأسباب موجودة ومستمرة منذ أمد بعيد، عند الأمم ولأقوام المختلفة، وفي التراث العربي والإسلامي كان لها حضور كبير، وان اختلفت أسبابها وبواعثها وأنواعها ونتائجها.

والرحلة إلى الممدوح وَوَصَفُ الناقة والصحراء لا
تقتصر على الشعر الجاهلي، بل نراها في شعر العصور
الأخرى، فنجدها عند الشاعر العباسي الذي تغيرت بيئته
من البيئة البدوية إلى البيئة المتحضرة التي تمثلها حضارة
العصر العباسي

وقد نوّه ابن خلدون بأهمية الرحلات فأورد ذكرها
في مقدمته الشهيرة، اذ قال

والرحلة لا بد منها في طلب العلم، ولاكتساب ((
(الفوائد والكمال بقاء المشايخ)) (22

وقد حث القرآن الكريم المسلمين في عدة آيات على الرحلة
:لأسباب ذكرها القرآن الكريم في هذه الآيات، منها قوله تعالى

قل سيروا في الأرض، ثم انظروا كيف كان عاقبة))
المكذبين)) (الأنعام

:وقوله تعالى

هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها، وكلوا من))
رزقه واليه النشور)) (الملك

نفهم من الآيات الكريمة، إن الله عز وجل يدعو
المسلمين صراحة للسير في البر وركوب الفلك،
وخوض البحار، لأن الرسالة السماوية لا تبلى إلى
الخلق كافة إلا بالسفر وقطع المسافات والطواف
بالأمصار شرقا وغربا.

وقد عزا بعضهم دوافع الرحلة إلى دوافع دينية
وعلمية، وتذكرُ كتب الحديث والسير، أن الفقهاء
والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلباً
لحديث نبوي سمع به، أو لمجرد التحقق من كلمة
فيه.

وشجع الرسول) صلى الله عليه وسلم) المسلمين على
: طلب العلم، أليس هو القائل

من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له))
((طريقا إلى الجنة

:ويروى عنه) صلى الله عليه وسلم) أنه قال

((أطلبوا العلم ولو كان في الصين))

والعلم يتطلب الرحلة

وهناك آداب وتقاليد للسفر، والرحلة، ذكرها **أبو حامد الغزالي**
في إحياء علوم الدين، وهي آداب رائعة تصح لكل مسافر أو
صاحب رحلة، في كل زمان ومكان، كرد المظالم، وقضاء
الديون، واختيار رفيق الطريق، وتوديع الأهل والرفقاء، وصلاة
الاستخارة، وصلاة السفر، والتبكير في الرحلة، وتفضيل يوم
الخميس في السفر، والسير ليلاً، والاحتياط فلا يمشي منفرداً
خارج القافلة، وأن يرفق بالدابة إن كان راكباً، وفي آداب
الرجوع من السفر أن يحمل المرء لأهل بيته وأقاربه على قدر
إمكانه.

المطلب الثالث :

أدب الرحلات :

مفهومه ، أهميته ، أبرز رواده

مفهومه : هو أدب متشعب الاتجاهات، له مميزات وخصائص يتصف بها، من أبرزها: وصف الأماكن والبلدان، والشعوب المختلفة، بتقاليدها وأعرافها وعاداتها وثقافتها، ويعتمد هذا الأدب على السرد القصصي، والإبداع فيه يعتمد على قدرة وثقافة ووعي وعمق فكر الرحالة، وتمكنه من لغته وامتلاكه لأسباب البيان، ودقته في الوصف، والتقصي في تسجيل مشاهداته بأمانة وصدق، والتمييز بين المشاهدة والرواية عند تسجيل المعلومات.

وأول من استخدم لفظ **رحلة** ((في عنوان مؤلف هو
العالم الفقيه **أبو بكر العربي**) ت543 (هجريّة، حيث وضع
كتاباً سماه ((**ترتيب الرحلة**)) (ويعد بهذا أول من وضع
أساس أدب الرحلات بالصورة الفنية.

وذروة أدب الرحلة العربي ((تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ((لأبن بطوطة)) ت776 (هجريّة، فهو أشهر الرحالة على الإطلاق.

ولأدب الرحلات خصائص مشتركة، نجدها عند أغلب الرحالة، وقد ينفرد بعضهم بخصائص لا نجدها عند غيرهم، ((على أن أبرز ما يميز أدب الرحلات هو التنوع في الأسلوب، فمن سرد قصصي إلى حوار جذاب بأسلوب مباشر وغير مباشر، إلى جنوح إلى خيال يصل في كثير من ((الأحيان إلى حد الأسطورة أو الخرافة وان لم يخل من متعة ذهنية كبرى

: فسئقف عئء خصائص رحلتين مشهورتين؁ هما

رحلة ابن جبير (ت626 هجرية؁ وابن جبير - 1
أءيب وشاعر وفقفه؁ وهو أشهر رحالة القرن
السادس الهجري بعء الإءريسي

رحلة ابن بطوطة (ت776 هجرية، وابن بطوطة - 2
أشهر الرحالة على الإطلاق، ولم يبلغ غيره ما بلغ من
ذیوع الصیت فی الشرق والغرب، بفضل شخصيته
القوية، التي تفيض حيوية وبفضل ثقافته وعلمه وذاكرته
النابضة، وإقباله على الحياة.

المبحث الثاني:

رحلة الهاشمي من دمشق إلى
بغداد

من موضوعات الرحلة

أولا :الأمكنة والبقاع

ثانيا : الأحوال الجوية

ثالثا : الآثار

رابعا : مياه البادية

خامسا : مجتمع البادية

خُصَائِص

الرَّحْمَةُ

الخطّمة

: من المفيد في **خاتمة البحث** إبراز نتائجه على النحو الآتي

1. الرحلة بمعنى التحول أو الانتقال من مكان إلى آخر، لسبب من الأسباب، ظاهرة. **1.** حاضرة في التراث العربي والأسلامي

2. الأدب العربي القديم، حافل بوصف الرحلة، فالشاعر الجاهلي يصف الصحارى **2.** والجبال والوهاد، وحيوانات الصحراء، وكل ما يعترضه في رحلته إلى ممدوحه، بلوحات فنية جميلة تتسم بالحركة والنمو، قبل أن ينتقل إلى غرضه الرئيس الذي سافر وارتحل من أجله

3. عرف العرب السفر، ومارسوا الترحال في شبه الجزيرة العربية، والبلدان المتاخمة **3.** لها، وقاموا برحلتى الشتاء والصيف، المذكورتين بالقرآن الكريم

4. حدد العلماء آداب وتقاليد السفر والرحلة، التي ينبغي على الرحالة معرفتها، والعمل بها، وتنفيذها بدقة، وقد أسهب **الأمام الغزالي** في الحديث عن هذه الآداب والتقاليد في كتابه المشهور **إحياء علوم الدين**.

5. أدب الرحلات، أدب متشعب الاتجاهات، له مميزات وخصائص، يتصف بها، من أبرزها: وصف الأمكنة والبقاع والبلدان والشعوب التي يراها ويلتقي بها الرحالة، ويعتمد هذا الأدب على السرد القصصي، وعلى قدرة ووعي وثقافة صاحب الرحلة.

6. ساهم الأديب **محمد الهاشمي** في أدب الرحلات، من خلال رحلته (من دمشق الى بغداد) والتي امتدت من 15 فبراير إلى 13 مارس من سنة 1921م، ونشرتها **مجلة المقتطف** الشهيرة في أعدادها الصادرة في هذه السنة.

7. سطر الهاشمي كل ما رآه أثناء رحلته، ووصف ذلك وصفا دقيقا، يدل على مقدرة لغوية وأدبية فائقة، وعلى أسلوب سردي جميل.

8. تحدث الهاشمي في رحلته عن الأمكنة والبقاع، والأحوال الجوية التي صادفته، والآثار ومياه البادية التي مر بها، ورسم صوراً للمجتمعات البدوية، وبين أن بعض هذه المجتمعات كانت تتصف بالغدر والسطو، وبعضها تتسم بالكرم والضيافة.

9. رحلة الهاشمي على قلة أيامها، وقصر مسافاتها، إذا ما قيست برحلات الرحالة العرب والمسلمين في القرون الماضية، لها قيمة أدبية واجتماعية رفيعة، فعبارته سلسلة، ومعانيه واضحة، وأسلوبه ينبض بالحيوية والجمال والروعة الفنية.

10. اتسمت لغة الهاشمي في وصف ما رأى في رحلته من دمشق إلى بغداد بالوضوح والبعد عن التكلف والأغراب والصنعة، ودلت على حسن اختيار الألفاظ، والتمكن من التراكيب والعبارات البلاغية البديعة التي تذكرنا بأساليب أدباء العرب في العصور الأدبية الزاهرة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

:أولا : الكتب

- 1)0م1987، القاهرة، دار الغد العربي، القاهرة، 1987م01
- 2)2)0م1989 ، الكويت ، عالم المعرفة، الكويت ، 1989م02
- 3)0ت0م، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م03
- 4)0م2002 ط 2 القاهرة العربية للكتاب، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط 2 القاهرة 2002م04
- 5)0م1923، المطبعة السلفية بمصر، روفائيل بطي، المطبعة السلفية بمصر، 1923م05
- 6)0م1952، بيروت، دار المعرفة، بيروت، 1952م06
- 7)0م1980، بيروت، ط 5، خير الدين الزر كلي، ط 5، بيروت، 1980م07
- 8) ط3، 2008م، تحقيق د إحسان عباس، د إبراهيم السعافين، بكري عباس، دار صادر، بيروت، 2008م08
- 9) 0م1974، بيروت، ط 2، ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ط 2، 1974م09
- 10)0م2010، ط 2، علي الجارم ومصطفى أمين، مكتبة البشري، كراتشي، ط 2، 2010م10
- 11)0م2006، بيروت، ط 3، تاريخ ابن خلدون، دار الكتب العلمية، ، بيروت، ط 3، 2006م11
- 12)0م1963، ط 4، تاريخ الدب العربي، العصر الإسلامي، د شوقي ضيف، دار المعارف، ط 4، 1963م12
- 13)0م1966، ط 9، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، د شوقي ضيف، دار المعارف، ط 9، 1966م13
- 14) حبيب الراوي، دمشق، صفحات للدراسات والنشر، 2010م، تاريخ الصحافة والإعلام في العراق، منذ العهد العثماني وحتى حرب الخليج الثانية(1810/ 1991)أد خالد (14)

تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، بيروت، 15)

شكراً لحسن إصفاؤكم